@ 80 @ بها ، وهم في أكبابهم عليها سامعون بآذان واعية مبصرون بعيون راعية ، انتهى محل الغرض منه . .

ولا يخفى أن لهذه الآية الكريمة دلالتين : دلالة بالمنطوق ، ودلالة بالمفهوم ، فقد دلّ َت بمنطوقها على أن من صفات عباد الرحمان ، أنهم إذا ذكّ ِروا بآيات ربّهم لم يخرّوا عليها ، لم يكبّوا عليها في حال كونهم صمّ ًا عن سماع ما فيها من الحقّ ، وعميانً ًا عن إبصاره ، بل هم يكبّون عليها سامعين ما فيها من الحقّ مبصرين له . .

وهذا المعنى دلّ ت عليه آيات أُخر من كتاب اللّ َه ؛ كقوله تعالى : { إِنّ َمَا الْمُؤْمِنُونَ الّ َذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّ َهُ } ، ومعلوم أن من تليت عليه آيات هذا القرءان ، فزادته إيمانً ًا أنه لم يخرّ عليها أصمّ أعمى ؛ وكقوله تعالى : { وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مّ َن يَقُولُ أَيّ ُكُمْ زَادَتْهُ هَاذِهِ إِيمَاناً فَأَمّ َا الّ َذِينَ ءامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ } ، وقوله تعالى : { مّ ُبِينٍ اللّ َهُ نَزّ َلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مّ ُتَشَابِهاً مّ َثَانِيَ تَقْشَعِرّ ُ مِنْهُ جُلُودُ الّ َذِينَ يَخْشَوْنَ رَبّ َهُمْ ثُمّ َ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ } ، إلى غير ذلك من الآيات . .

وقد دلّ َت الآية المذكورة أيضً ًا بمفهومها أن الكفرة المخالفين ، لعباد الرحمان الموصوفين في هذه الآيات : إذا ذكروا بآيات ربهم خرّوا عليها صمّ ًا وعميانً ًا ، أي : لا يسمعون ما فيها من الحق ، ولا يبصرونه ، حتى كأنهم لم يسمعوها أصلاً . .

وهذا المعنى الذي دلّ ت عليه هذه الآية الكريمة بمفهومها ، جاء موضحً ًا في آيات أُخر من كتاب اللّ َه ؛ كقوله تعالى في سورة (لقمان) : { وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءايَاتُنَا وَلّ َى مُسْتَكْبِراً كَأَن لّ َمْ يَسْمَعْهَا كَأَنّ َ فِى أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشّ ّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } ، وقوله تعالى في (الجاثية) : { وَيْلٌ لّ ِكُلّ أَفّ َاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ ءايَاتِ اللّ َهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمّ َ يُصِرّ ُ مُسْتَكْبِراً كَأَن لّ َمْ يَسْمَعْهَا فَبَشّ ّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءايَاتِنَا شَيْئاً اتّ َخَذَهَا هُزُواً أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مّ ُهِينٌ } ، وقوله تعالى : { وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مّ َن يَقُولُ أَيّ ُكُمْ زَادَتْهُ هَاذِهِ إِيمَاناً فَأَمّ َا الّ َذِينَ ءامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمّ َا } ، إلى غير ذلك من الآيات . .

والظاهر : أن معنى خرور الكفار على الآيات ، في حال كونهم صمّ ًا وعميان ًا ، هو إكبابهم على إنكارها والتكذيب بها ، خلاف ًا لما ذكره الزمخشري في (الكشاف) ، والصمّ في